الحياة والمعاد

السر اوليفر لدج

يتشوق كثيرون من قراء المقتطف ان يعرفوا ما يراهُ كبار العلماء الطبيعيين في الحياة والمعاد . ولا يخفى ان السر اوليفر لدج من اكبر علماء الطبيعة في هذا العصر بل في كل العصور وقد وقفوا على رأيهِ في المعاد من حيث ما يعتقدهُ او ما يقول انهُ تحققهُ من مخاطبة روح ابنهِ الميت لهُ مما لم نقرَّهُ عليهِ ولا يقرهُ اكثر العلماء الذين وقفنا على رأيهم . ولكننا لا نزال متطلّعين الى معرفة ما يقولهُ في هذا الموضوع من باب طبيعي وفلسفي مستنداً على ما عُرف حتى الآن من المبادىء العلمية الطبيعية . وقد وقفنا على مقالة لهُ في هذا الموضوع في جزء يناير من مجلة القرن

التاسع عشر الانكليزية فاقتطفنا منها ما يأتي قال : —

انا نحن البشر عائشون في سيّار من اصغر السيّارات وهذا السيار يدور حول شمس بين ألوف من الشموس وفينا حواس نشأت في الحيوانات اسلافنا لغرض اقتفاء الصيد والنجاة من الاعداء. ولا يخفى علينا ان عالمنا صغير جدًّا وقد لا يكون لهُ شأن يذكر في هذا الكون الذي اذا عرفنا مقدار عظمته بما فينا من قوة الادراك رأيناهُ يفوق التصور . ونوع الانسان كلهُ حديث في هذه الأرض وتدلُّ الدلائل على انهُ لا يزال في حداثته وقد اشتغل في كل تاريخهِ بتقتيل بعضهِ بعضاً . والسبب الغالب في ذلك مطامع شخصية واختلافات جنسية لا مطالب ضرورية لازمة للمعيشة لان اسباب المعيشة تنال بالتعاون اكثر ممَّا تنال بالحروب . ومع ذلك فاوضح ما في تاريخ البشر الحروب لتعزيز الاسر المالكة او لنحو ذلك من الاغراض . ولم يُعنَ الناس بالبحث عن حقيقة الكون الاَّ نادراً والذين عنوا بذلك افراد قلائل واكثرهم من ابناء العصور الحديثة

وما فينا من وسائل البحث والاستقصاء لم ينشأ لغرض علمي ولا لبحث فلسفي ولكننا اعنّاها بالات صنعناها لهذه الغاية فاستمنّا على فحص الاجزاء السطحية من قشرة الارض وبناء بعض الاجسام التي نراها من الكون فوصلنا الى معرفة جانب كبير من صفات الكون المادية وهي الصفات التي تصل اليها حواسنا وآلاتنا

وزد على ذلك ان بعض الناس تمكنوا من الإبداع اي اوجدوا ما لم يكن موجوداً كالقصائد والاغاني ونحو ذلك من مبدعات الفن التي لولاهم ما وجدت فزادت بها الموجودات ولو زيادة طفيفة

ولكن مهما كانت مكتشفاتنا ومبتدعاتنا فان ما عرفناهُ وما عملناهُ قليل جدًّا والذين عرفوهُ وعملوهُ انما هم نفر قليل من نوع الانسان والسواد الاكبر منهُ لا تبدو عليهِ الاَّ دلائل الانحطاط وانهُ لا يزال في حال الطفولة واكثرهُ عاش عيشة الجهل والسخافة . واذا لم يرتقِ نوع الانسان الى حالة اسمى جدًّا من الحالة التي هو فيها الآن فرور مئات الملايين من السنين على الارض حتى استعدَّت لظهورهِ عليها يكون ضرباً من العبث وامراً يفوق التصور في سخافتهِ . وليس من الصعب على احد ان يعتقد ان لهذا الوجود غاية ما وان سير الشيء في مدّهِ وجزرهِ وتقدمهِ وتأخرهِ لا بد من ان يبلغ اخيراً غاية من الرقي لها فائدة دائمة . والظاهر ان الكون يتدرج

تدرجاً في ارتقائه فيصل الى درجة يقف عندها ثم يرقى منها الى غيرها وهلمَّ جرًّا

وفي الطبيعة اشياء كثيرة تكاد تكون ازلية فقد مضى على الارض دهور طوال والشمس تكتنفها كما يستدل من وجود الاحياء المتحجرة في صخورها ومع ذلك لا يظهر على الارض ولا على الشمس شيء من امارات الشيخوخة او ما يدل على انهُ قد يصيبهما حادث عظيم يتلفهما ولو بعد مائة مليون سنة . ومَن يستطيع ان يتصور مقدار التقدم الذي يتقدمهُ نوع الانسان في جزء صغير من هذه المدة الطويلة. وما بلغهُ بعض الخاصة من الرقي لا عجب اذا بلغهُ جمهور العامة بعد زمن طويل وحينئذٍ تكون الخاصة قد بلغت درجة فائقة جدًّا . وعليهِ فما نراهُ الآن من انتشار الجهل والسخافة دليل على اننا لم نبلغ الغاية التي سوف نبلغها ولا نزال بعيدين عنها بل اننا مثل بناء لم يتمّ والسقائل قائمة حولهُ والاتربة متراكمة فيهِ ولكن المهندس الذي رسمهُ يتصور ما سيصير اليهِ حينما يتم البناء والنقش. هذا الغاية تبرر الواسطة. انظر ما اصعب تعلُّم الموسيقى ولكن ما ابدع نتيجتها اذا تعلمها المرء . واذا عرفنا اصل الانسان الوضيع ومقدار القرون التي مرَّت عليهِ حتى بلغ ما بلغهُ وان امامهُ قروناً لا تكاد تحصى اضطررنا ان نعتقد ان امامهُ كنوع مستقبلاً مجيداً جدًّا

اما الانسان كفرد فما قولنا فيهِ . اقول ان لا قيمة لهُ لاننا نراهُ ضعيفاً وقد يتلاشى حتى لا يبقى لهُ عين ولا اثر . هل الشوء يُعنى بالنوع ولا يعنى بالفرد . هذا امر لا يُعقل ولكن كثيرين تدلُّ اراؤهم على انهم يذهبون هذا المذهب

فاولاً السبعون سنة او الثمانون التي يعيشها الانسان انما هي نقطة في بحر الزمن واذا كان الانسان لا يعيش الاَّ هذه المدة الوجيزة فهو شيء طفيف جدًّا لا يعبأ بهِ. ولكن هل هو كذلك لاننا لا نعلم كنه الحياة والعقل

ثانياً تأتينا الحياة ولا نعلم من اين اتت وتفارقنا ولا نعلم الى اين تذهب فهل يستنتج من ذلك ان وجود الشخص مقصور على المدة القصيرة بين مجيء حياته وذهابها . او ليس الاولى ان يقال ان المدة التي قضتها الحياة في هذه الفترة بين المجيء والذهاب انما هي فصل قصير من فصول وجودها

لا نعرف شيئاً في العالم الطبيعي يوجد من لا شيء ثم يتلاشى وانما نعلم ان الاشياء تتجمع ثم تتفرق واما كل شيء اساسي منها فغاية ما يقع لهُ ان صورتهُ تتغير وصفاتهِ تتنوع وقد يصير بحيث تتعذر رؤيتهُ او الشعور بهِ بالحواس كما يتبدد الغيم وينقطع

الصوت فلا يبقى لها اثر ظاهر . وفي هذه الاحوال لا يتلاشى الفيم ولا الصوت ولكنهما يتحولان الى صور اخرى

فما يقال في شخصيَّة الانسان أهي مجتمع وقتيٌّ ام هي شيء ثابت دائم . اي‌مكن ان تبقى كما هي او تعود اذا ذهبت حتى اذا زالت من امامنا تبقى موجودة بصورة اخرى . وهل الصورة الاخرى التي تصير فيها يمكن ان يشعر بها الناس فيهم مشاعر قادرة على ادراك ما لا يدركهُ غيرهم . وبعبارة اوضح هل الجزء الاساسي الجوهري من كل انسان يبقى في الوجود بعد الموت

هذه مسألة علمية صريحة ويجب ان تكون من المسائل التي تحتمل الحل . فاذا كان الانسان يبقى موجوداً بعد الموت وجب ان يكون قادراً على اثبات وجودهِ بالوسائل التي كان يثبت وجودهُ بها وهو على الارض . كيف نتحقق وجودهُ وهو على الارض . نتحقق وجود جسدهِ بالنظر واللمس والجسد جزء من الانسان ولكنهُ ليس الانسان كلهُ فكيف نتحقق وجود عقلهِ وصفاتهِ وشخصيتهِ . نتحققها غالباً بكلامهِ وكتابتهِ والتحدث معهُ

فاذا بقيت شخصيتهُ في حيز الوجود ووجد سبيلاً لاستخدام المادة التي عندنا حتى نسمع منهُ كلاماً او نرى كتابة حقَّ لنا ان نقول انهُ استعمل هذه المادة ليثبت لنا وجودهُ وشخصيتهُ . والوسائل لذلك كثيرة حولنا وهي آلات عصبيَّة دماغية عضلية قويت في بعض الناس . منهم من تصيبهُ الغيبوبة ومنهم من ينقطع جانب من دماغهِ عن العمل فيقوى على عمل آخر . فالدماغ الذي استراح بالغيبوبة او استراح بعضهُ بالانقطاع عن العمل قد يصير آلة طبيعية لتأثير الارواح فيهِ واثبات وجودها بالكلام او بالكتابة

ولا فائدة من البحث في هل ذلك ممكن او غير ممكن وانما الفائدة من النظر في الحوادث الواقعة فاذا ثبت منها ان الاتصال بالارواح واقع فعلاً فتسليمنا بوقوعهِ لا يكون من الغرائب المستحيلة . فالمسألة مسألة اختبار . قد يظن ان ذلك غير محتمل ولكنَّ امورا كثيرة عُدَّت من المستحيلات في بادىء الرأي ثم ثبت امكانها وصحتها . ونحن لا نعلم كيف يؤثر العقل في المادة ولا كيف نحرك اعضاءنا الحركات التي نريدها . ولكن لا شبهة في اننا نحركها وقد الفنا ذلك حتى لم نعد نستغربهُ

وستأتي تتمة الكلام في الجزء التالي